نوستالجيا

نصفٌ منها ضائعٌ بعالم خياليّ، قلبٌ رقيق تخدشه حدَّة الكلِمات والنظرات القاسيَة.. عينان حالمتان لهما ابتسامة حنونة طيِّبة.. شفتان تَحمل صدقًا وحبًا بين حروف الكلِمات.. خصلات شعرها تَلمع بين أشعة الشمس.. نبرة صوتِها مُميَّزة جدًا.. كمْ تلمع عيناها جدًا وجدًا بقدْر ما تشعر بصدق عينيها..

لمْ تكذب يومًا من أجل مودَّةٍ زائفة.. تعرف كيف تمنحك القوة وقت ضعفك، والسلام وقت خوفك، والحب في كل لحظاتك.. بين صديقاتها هي الأكثر إخلاصًا.. فوضويَّة أحيانًا.. تلقائيَّة في بعض الأمور.. لكن مشاعرها صادقة.. لمْ تسعَ يومًا لإفساد قلب إنسان..

قلبها يعرف جيّدًا كيف يعطي الحب وقت الحرب.. كيف يصمد بعد لحظات انهيارها.. وحده يسمع صوت صرخاتها وأنين قلبها.. وحده يعرف كيف تخفي حزنها الدفين بضحكتها الملائكية.. كيف تُحاوِطها الأفكار بين سطور الكتب وزحام الطرقات ولحظات هدوئها و بين وجوه الناس حتى موسيقاها المفضلة تُصبِح لعنةً تقبض صدرها..

قلبها يَفتقد نظرتها الأولى للعالم.. شغفها.. وسكينة روحها بعيدًا عن كل تلك الصراعات.. صوت البحر يسمعها أصوات تهذي برأسها تجرِفها بعيدًا عن العالم.. كل ما تهرب إليه يتحوَّل إلى لعنةٍ جديدة.. جزء يهرب من العالم لا يشعر مُطلقًا وجزء يُحاول أنْ يظهر بثباتٍ يخاف السقوط..

مثلها يُشبِه موجَ البحر في اندفاعه أكثر وأكثر كلَّما اقترب من صخور الشاطئ.. ربَّما شغف.. ربما اعتقاد أنَّ الصخرَ سيمدّ يدَه ويحتضنه.. بلهفةٍ شديدة تهدي حبًا بفضولٍ عظيم تندفع بقوةٍ مُخيفة تضحك، ثم وفجأة صمتٌ يَجتاح كل أركانها.. حروف الكلمات لا تخرج من بين شفتيها.. رغم أنَّها تُحاول أنْ تدفع الكلمات إلى خارجها.. أنْ تُخرج صوتها.. أنْ تثور لكن شيئًا مات بداخلها وقتل معه صوتها، وأسقطها ببطءٍ حتى انطفأت كل محاولاتها في النهوض تحوَّلت كل انفعالاتها إلى سكونٍ، شيء انكسر بهدوءٍ.. تلك العينان.. ابتسامة باردة ساخرة ولامبالاة مُخيفة تطرد كل الخوف أو أنَّ ما عاد هناك بداخلها ما يشعر بالخوف أو الأمان من الأساس.. كانت معضلتها في الكتمان.. كل ما بداخلها ينزف بصمتٍ ترفضه.. وما زالت تبتسم.. ترفض حتى الاعتراف بندبات روحها.. رغم أنَّها تظهر بكل تلك اللامبالاة لكن ذلك كله يُضني قلبها الذي يَشعر ويشعر جدًا وجدًا بما يكفي لأن يخلق منها

كل تلك اللامبالاة والبرود الذي ربَّما تتهمها به..

مثلها يحب بقوةٍ ويبعد بقوةٍ.. يخاف جدًا وجريء جدًا.. يندفع جدًا ويتراجع جدًا.. تَكمن هنا حدَّة مشكلتها إنَّها لا تعرف الوسط تفضِّل الأبيض أو الأسود لا تعرف الألوان تَميل للصادقين.. وحدها تعرف طريقَ خلاصها.. وحدها تعرف الطريق إلى الحرية.. لها فلسفتها الخاصة وعالمها الخاص تلك نجمتي الطفلة وفتاة بالعشرين وامرأة بالثلاثين ورجل بالأربعين وأحيانًا عجوز تُحادِثك عن قسوة الحياة.. ونصف رجل في تلك اللحظات التي تتصرَّف بعقلانيةٍ شديدة تَعرف كيف تحتوي نفسها جيدًا تعرف كيف تسند كل ضعفها وقت ما يستدرجها الحزن للانسحاب من العالم تمتلك قدرًا من الصلابة كأعظم الرجال، وقدرًا من اللين وكأنَّ بداخلها كل مساحات المحبَّة والرحمة في هذا العالم.